صرخة الأنبياء

السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: ١صموئيل ٨: ١٠-١٨؛ عاموس ٥: ١٠-١٥؛ ميخا ٦: ٨؛ تكوين ١٩: ١-١٣؛ حزقيال ١٦: ٤٩؛ إشعياء ١: ١٥-٢٣.

آية الحفظ: «قد أخْبَرَك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعًا مع إلهك» (ميخا ٦: ٨).

أنبياء العهد القديم هم من بين أكثر الشخصيات إثارة للاهتمام في الكتاب المقدس. فأصواتهم الحادَّة، ورسائلهم الجريئة، وإحساسهم بالحزن والأسى والغضب، وقيامهم بتمثيل رسائلهم في بعض المناسبات، جعلت منهم أناسًا لا يمكن تجاهلهم أو التغاضِي عنهم، حتى وإن كان وجودهم غير مُرحبًّا به دائمًا لمن هم حولهم.

أُرسل الأنبياء أساسًا إلى شعب إسرائيل ويهوذا، وكانوا يُنادون الشعب المختار للعودة إلى دعوتهم في الله. كان الشعب وقادته ينجرفون بسهولة بواسطة الأصنام وأنماط حياة الأمم المحيطة بهم. كانت مهمة الأنبياء)المهمة غير المُقَدَّرة) هي حثّهم على التوبة، أحيانًا من خلال تذكيرهم بمحبة الله لهم وأعماله السابقة من أجلهم، وأحيانًا أخرى بواسطة تحذيرهم من العواقب إذا هم واصلوا سيرهم بعيدًا عن الله.

وكما سنرى، أيضًا، أن مِن بين الخطايا والشرور التي حذر الأنبياء القادة والشعب منها وضدَّها، كان من أهمها ظلم الفقراء والمحتاجين والضعفاء الذين بينهم. نعم، عبادة الأوثان كانت سيئة؛ نعم، إتباع ممارسات دينية كاذبة كان سيئًا؛ ولكن، نعم، استغلال الضعفاء والمساكين كان يستوجب الإدانة، أيضًا.

* نرجو التعُّمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم ٣آب (أغسطس).

دعوة متجددة للعدالة

على الرغم من خطة الله التفصيلية للأمة الإسرائيلية، فإنَّ الشعب الإسرائيلي نادرًا ما عاش حسب دعوتهم. فلم تمضِ أجيال كثيرة بعد استقرارهم وتأسيسهم في الأرض، حتى طلبوا من صموئيل، النبي والقاضي، أن يُقيم عليهم ملكًا ليقود أمَّتهم: «كسائر الشعوب» (١صموئيل ٨: ٥).

اقرأ ١صموئيل ٨: ١٠-١٨. ماذا كان تحذير صموئيل للشعب كاستجابة لطلبهم الحصول على مَلك؟

أدرك صموئيل أن ما يحدث كان خطوة نحو تشبههم بالأمم الأخرى في جوانب أخرى أيضًا. وبينما سعى صموئيل للتشاور مع الملك الأول، شاول، لم يمض وقت طويل قبل أن بدأت نبوته تُصبح حقيقة. حتى في أوج عظمة مملكة إسرائيلية، لم ينجو داود وسليمان من تجارب وفساد وطغيان السلطة.

خلال عهود حكم ملوك إسرائيل ويهوذا، كانت إحدى استجابات الله هي إرسال أنبياء ليُعْلِنوا إرادته وليُذكِّروا قادة وشعب إسرائيل بمسؤولياتهم التي أعطاها الله لهم تجاه المهملين والمنسيين في مجتمعهم.

في كتابات الأنبياء العبرانيين، نرى نداء ودعوة مُتكررة ومتجددة ليُحبُّوا الحق وليقضوا بالعدل في المجتمع. وفي مواجهتهم لعدم أمانة إسرائيل وقادتها، كان الأنبياء صوتًا دائمًا ومُلحًّا لِمَن لا صوت لهم، خاصة أولئك الذين كانوا يتألمون من فشل إسرائيل في إتِّباع إرادة الله.

في تأملاته عن شوق ولهفة أنبياء العهد القديم، يُقارن إبراهام جشوا حزقيال بين رضانا وراحتنا وبين دعواتهم العاجلة والمُلحَّة للعدالة: «إنَّ الأشياء التي أرعبت الأنبياء ما تزال حتى اليوم مظاهر يومية حول العالم أجمع... إنَّ نفاذ صبرهم على الظلم قد نعتبره هستيريًّا. نحن بأنفسنا نشهد أعمال ظلم بشكل مُستمر، ومظاهر رياء، وكذب، وصخب، وبؤس، لكننا نادرًا ما نزداد سخطًا أو ننفعل بشكل مُفرط. بالنسبة للأنبياء حتى المظالم الصغيرة تستدعي جزاءً كونيًا» (كتاب الأنبياء، [نيويورك: إصدارات المجتمع اليهودي في أمريكا، ١٩٦٢]، صفحة ٣، ٤).

ما يُقدِّمه لنا هؤلاء الأنبياء هو رؤية إلى داخل قلب وعقل الله. في حديثهم بالنيابة عن الله، يمكنهم أن يساعدونا لرؤية الظلم والمُعاناة في عالمنا من خلال عيون الله المليئة بالدموع. ولكن هذه الشفقة هي أيضًا دعوة للفعل، للعمل مع الله لتخفيف ولمُعالجة قهر وحزن أولئك الذين هم حولنا.

كيف يمكننا أحيانًا أن نسعى لنكون «كسائر الشعوب» في نواحٍ قد تكون ضارة بنا وبالآخرين؟

عاموس

«لستُ أنا نبيًا ولا أنا ابن نبي، بل أنا راعٍ وجاني جمّيز. فأخذني الرب من وراء الضأن، وقال لي الرب: اذهب تنبأ لشعب إسرائيل» (عاموس ٧: ١٤، ١٥).

كان عاموس صريحًا جدًا في اعترافه بنقص مؤهلاته ليكون نبيًا، ولكنه إذ يُقدِّم رسالته إلى الأمة الإسرائيلية، يُظهر مقدرة واضحة لجذب مُستمعيه إلى ما أراد أن يُخبرهم به.

يبدأ بملاحظة عامَّة، مُعطيًا قائمة بالأمم المحيطة — سوريا، فلسطين، فينيقيا، آدوم، عمون، وموآب — موضحًا تفاصيل جرائمهم وفظائعهم وأعمالهم الوحشية التي سيعاقبهم الله لأجلها (انظر عاموس ١: ٣- ٢: ٣). من السهل أن نتخيَّل الإسرائيليين يستحسنون لائحة اتهامات أعدائهم هذه، خاصة وأن الكثير من جرائم هذه الأمم كانت قد وجِّهت ضد الإسرائيليين أنفسهم.

ثم يقترب عاموس أكثر إلى الوطن، مُعلنًا دينونة الله على شعب يهوذا، الجار الجنوبي لإسرائيل في المملكتين — اللتين أصبحتا منفصلتين. متحدثًا بالنيابة عن الله، يستشهد عاموس برفضهم لله، وعصيانهم لوصاياه، والعقوبات التي ستحل بهم (انظر عاموس ٢: ٤، ٥). مرة أخرى، نستطيع أن نتخيل شعب المملكة الشمالية يصفقون بينما يُشير عاموس إلى الأعمال الآثمة للذين حولهم.

ولكن بعد ذلك يستدير عاموس إلى جمهوره. وبقيَّة السفر يُركِّز على شرور إسرائيل، ووثنيتهم، وظلمهم، وفشلهم المتكرر في نظر الله.

اقرأ عاموس ٣: ٩-١١؛ عاموس ٤: ١،٢؛ عاموس ٥: ١٠-١٥؛ وعاموس ٨: ٤-٦. ما هي الخطايا التي يُحذِّر منها هنا؟

في حين أن عاموس ليس دبلوماسيًا في لغته وإنذاراته هي إنذارات الهلاك، فإن رسالته مُملَّحة بتوسُّلات ليعودوا إلى إلههم. هذا يشمل تجديد إحساسهم بالعدل والعناية بالفقراء بينهم: «وليجر الحق كالمياه، والبر كنهر دائم» (عاموس ٥: ٢٤). الآيات القليلة الأخيرة من نبوة عاموس تُشير إلى استرداد مُستقبلي لشعب الله (انظر عاموس ٩: ١١-١٥): «كانت رسالة الله إليهم في أعمق ساعات ارتدادهم وحاجتهم القصوى رسالة غفران ورجاء» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٢٤٢).

هل هنالك من أوقات حين نحتاج أن نكون مُستعدين لنتكلم بصرامة لتصحيح خطأ؟ كيف نميز متى يمكن لمثل هذه اللغة أن تكون مُناسبة؟

ميخا

«قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب، إلا أن تصنع الحق وتُحب الرحمة، وتسلك متواضعًا مع إلهك» (ميخا ٦: ٨). ما هي الطرق التي يمكنك بها الآن أن تعيش حسب هذه الكلمات؟

الآية الواردة في ميخا ٦: ٨ ربما هي واحدة من أكثر الآيات المعروفة في الكتاب المقدس. ومع ذلك، ومثل آيات أخرى كثيرة نصنع منها شعارات أو مُلصقات إعلانية، قد نكون أقل دراية بسياق الآية مما يمكن أن نقر به.

اقرأ ميخا ٢: ٨-١١، وميخا ٣: ٨-١٢. ما الذي كان يفعله الشعب أدانه ميخا؟

إن حكم آحاز كملك على يهوذا، أوصل شعب الله إلى مستوى انحطاط جديد في التاريخ وفي الحياة الروحية للأمة. كانت الوثنية وممارساتها الشريرة المختلفة في ازدياد. وفي نفس الوقت، وكما لاحظ أنبياء آخرون أيضًا من ذلك الوقت، أن الفقراء استمر استغلالهم وتدميرهم.

لم يكن ميخا نبي إدانةٍ أقل من مُعاصريه. معظم ما جاء في أصحاحاته الثلاثة الأولى يُعبِّر عن غضب الله وحزنه على الشر الذي اقترفه شعبه، بالإضافة إلى الخراب والدَّمار الذي كان سيقع عليهم.

لكنَّ الله لم يتخلَّ عن شعبه. حتى أصوات الأنبياء الحادَّة ورسائلهم القاسية كانت دلالات على اهتمام الله المستمر بشعبه. لقد أعطاهم إنذارات بسبب محبته واهتمامه بهم. لقد تاق لأن يغفر لهم ويردُّهم. ولن يبقى غاضبًا إلى الأبد (انظر ميخا ٧: ١٨-٢٠).

هذا هو سياق «المعادلة» المعروفة جيدًا — اصنع الحق، أَحِب الرَّحمة، واسلك متواضعًا. قد يبدو الأمر هينًا وبسيطًا، ولكن عيش إيمان كهذا بطرق عملية هو أكثر تحديًا، خاصة عندما يبدو بأنَّ فعل ذلك هو خارج عن المألوف في المجتمع المحيط. فعندما ينتفع الآخرون من الظلم، ويهزأون بالرحمة ويستكبرون، فإنَّ صنع الحق والعدل، وحُب الرحمة، والسلوك بتواضع يتطلب شجاعة ومُثابرة. ومع ذلك، فنحن لا نفعل ذلك بمفردنا؛ فعندما نتصرف بهذه الطريقة، نكون سائرين مع الله.

ما هو الرابط بين فعل الحق والعدل، ومحبة الرحمة، والسلوك بتواضع أمام الله؟

حزقيال

إذا كان لنا أن نسأل مجموعة من المسيحيين عن خطايا سدوم، فإنَّ الاحتمالات هي أن كثيرين سيندفعون لوصف آثامها وخطاياها الجنسية المختلفة بالإضافة إلى أشكال أخرى من الفساد والانحراف. وعلى أية حال، فإنَّ تكوين ١٩: ١-١٣ يُقدِّم صورة لمجتمع مريض ومُشوَّه أكثر من جاهز للهلاك.

ومع ذلك، فمن المُثير للاهتمام بما فيه الكفاية، هو أنَّ الإجابة هي أكثر تعقيدًا من مجرد ذلك. فكِّر في وصف حزقيال: «هذا كان إثم اختك سدوم: الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان كان لها ولبناتها، ولم تشدد يد الفقير والمسكين» (حزقيال ١٦: ٤٩). ومع أنه من الواضح بأنَّ الرب لم يكن ليتغاضى عن أشكال الفساد الأخرى الموجودة في المدينة، إلا أن تركيز حزقيال هنا كان على الظلم الاقتصادي وقلَّة العناية بهؤلاء الذين هم في حاجة.

هل من الممكن أن تكون هذه الخطايا الاقتصادية، في عيني الله، بنفس سوء الخطايا الجنسية؟

كون حزقيال جاء بعد أيام عاموس وميخا وإِشَعْيَاء، فقد كانت نبوءاته المبكرة تُشبه في نبرتها صوت الإنذار بالخراب والدمار الآتي. ومع ذلك، فبعد سقوط أورشليم على يد البابليين وتمَّ أخذ شعبها كأسرى، تحوَّل تركيز حزقيال بالكامل إلى وعود الله بالاسترداد.

اقرأ حزقيال ٣٤: ٢-٤، ٧-١٦. قارن بين تقييم الله لقادة (رُعاة) إسرائيل الفاسدين وبين رعايته هو. كيف تتناقض معاملتهم مع أضعف «الغنم» مع أسلوبه وطرقه؟

بالرغم من السوء الذي كانوا عليه، حتى أنهم قُورنوا بسدوم، فإنَّ الرب كان لا يزال يمد يده لهم على رجاء أن يبعدهم عن شرِّهم. في خطة الله المُجدَّدة لشعبه، سيعودون إلى أرضهم، وستُسترد أورشليم، وسيُعاد بناء الهيكل. والأعياد التي أعطاها الله سيُحتفى بها مجددًا وستقسَّم الأرض مرة أخرى بالتساوي بين الشعب كميراث لهم (انظر حزقيال ٤٧: ١٣- ٤٨: ٢٩). يبدو واضحًا أنَّ قصد الله كان أنَّ خطته لشعبه، كما أُعطيت أولًا إلى موسى وشعب إسرائيل بعد إنقاذهم من مصر، تبدأ من جديد مع عودة شعبه من السَّبي. وهذا كان يشمل الاهتمام بالأعضاء الأضعف في المجتمع، بالإضافة إلى أولئك الذين قد يعتبرون غرباء أو نزلاء.

ما هي الأهمية بالنسبة لك أن إلهنا هو إله يُقدِّم فُرصًا ثانية — وأكثر — حتى لشعبه الذين أخطأوا بعد أن كانت لهم الفرصة ليتخذوا قرارات أفضل؟

الخميس

١ آب (أغسطس)

إشعياء

اقرأ إشعياء ١: ١٥-٢٣؛ إشعياء ٣: ١٣-١٥، إشعياء ٥: ٧، ٨. كيف تَصِف رد أو استجابة النبي لما يشاهده في المجتمع المُحيط به؟

عظة إشعياء الافتتاحية — الأصحاحات الخمسة الأولى — هي خليط من الانتقادات اللاذعة لنوع المجتمع الذي أصبح عليه شعب الله، إنذارات بالدينونة القادمة كَرَدٍ على رفضهم الله واستمرارهم في فعل الشر، وعروض بالرجاء إذا رجع الشعب إلى الله وأصلحوا حياتهم ومجتمعهم. ولكن ربما كان الشعور الأقوى الذي يصلنا من خلال كلماته هو الإحساس بالحزن. وبناءً على إدراكه لله وما يريده الله لشعبه، ينوح النبي على ما قد فُقِد، وأعداد الناس الذين لا حصر لهم من المُتألِّمين، والدينونة التي ستأتي على الأمة.

يستمر إشعياء على هذا النمط خلال خدمته النبوية. فهو يحثّ الشعب ليتذكَّروا ما فعله الله لأجلهم. وهو يُقدِّم لهم أيضًا الرجاء لما يريد الله أن يفعله لهم في المستقبل. وهكذا، عليهم أن يطلبوا الرب الآن، لأنَّ هذه العلاقة المستجدّة معه ستشمل التوبة عن أخطائهم الحالية وتغيير الطريقة التي يعاملون بها الآخرين.

في الأصحاحين ٥٨ و٥٩، يعود إشعياء بصفة خاصة إلى الاهتمام بالعدل. ويصف مجددًا مجتمعًا فيه «قد ارتدَّ الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيدًا. لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول» (إشعياء ٥٩: ١٤). ولكنه يؤكِّد أيضًا أن الله مُدرك لذلك وأن الله سينجِّي شعبه — «ويأتي الفادي» (إشعياء ٥٩: ٢٠).

عبر كل سفر إشعياء، جزء كبير من انتباه النبي مُوجَّه إلى إعلان مجيء المسيا، ذاك الذي سيعيد أخيرًا تأسيس حُكم الله على الأرض سيجلب العدل والرحمة والشفاء والاسترداد معه.

اقرأ إشعياء ٩: ٦، ٧؛ إشعياء ١١: ١-٥؛ إشعياء ٤٢: ١-٧؛ إشعياء ٥٣: ٤-٦. كيف تتوافق هذه النبوات مع ما تفهمه أنت عن حياة وخدمة وموت يسوع؟ ما الذي تقترحه هذه النبوات عن القصد والهدف من مجيئه إلى هذا العالم؟

الجمعة

٢ آب (أغسطس)

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، من الفصل الذي يحمل عنوان «السبي

الآشوري»، صفحة ٢٣٩-٢٤٨؛ ومن الفصل الذي يحمل عنوان «دعوة إشعياء»، صفحة ٢٥٧-٢٦٤، من كتاب الأنبياء والملوك.

«لقد رفع الأنبياء أصواتهم مُحتجِّين ضد الظلم والجور والتَّرف والإسراف وإقامة الولائم والسكر، والخلاعة والفجور الفظيعة — رفعوا أصواتهم مُحتجِّين ضد تلك الشرور المُتفشِّية في عصرهم، ولكن عبثًا كانت احتجاجاتهم وعبثًا كان تشهيرهم بالخطية» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ٢٤١).

بالنسبة إلى إشعياء: «كانت دلائل المستقبل مُثبطة للهمم من جهة أحوال الشعب الاجتماعية. فالناس إذ كانوا مُتعطِّشين إلى الكسب، كانوا يصلون بيتًا ببيت ويضمون حقلًا لحقل... لقد حرَّف الناس العدل ولم يظهروا عطفًا أو إشفاقًا على الفقراء... بل حتى القُضاة الذين يقتضيهم واجبهم حماية الضعفاء العاجزين، صمُّوا آذانهم عن سماع صرخات المساكين والبؤساء والأرامل والأيتام...

«ففي مواجهة مثل تلك الظروف لم يكن أمرًا مستغربًا، عندما دعي إشعياء في آخر سني حُكم عزيا ليحمل إلى يهوذا رسالة إنذار وتوبيخ من الله، أن ينكمش ويتراجع أمام جسامة تلك المسؤولية. فقد عرف جيدًا أنه سيواجه مُقاومة عنيدة» (صفحة ٢٥٩-٢٦٠).

«ينبغي أن تقبل هذه الأقوال الصريحة التي نطق بها الأنبياء على لسان الرب بوصفها صوت الله لكل نفس. وينبغي لنا أيضًا ألا نضيع أية فرصة من فرص القيام بأعمال الرحمة والتبصر الرقيق واللطف المسيحي للمثقلين والمظلومين والمضطهدين» (صفحة ٢٧٧-٢٧٨)

أسئلة للنقاش:

١. غالبًا ما نفهم أنَّ دور النبوة هو التنبؤ بالمستقبل. كيف غيَّرت معرفتك بتركيز أنبياء العهد القديم على العالم الذي عاشوا فيه، من مفهومك عن دور النبي؟

٢. حياة ورسالة الأنبياء تُظهر مدى صعوبة وخطورة الوقوف للحق. لماذا تعتقد أنَّهم فعلوا ما فعلوه وتكلَّموا بالطريقة التي تكلَّموا بها؟

٣. في كتابات الأنبياء، يبدو وكأن الله كان يبدّل بين كونه غاضبًا وبين إظهاره اهتمامًا عميقًا بشعبه. كيف توفِّق بين هذين الجانبين من صفات الله؟

ملخص: كان أنبياء العهد القديم عاطفيين ومتحمِّسين، وفي كثير من الأحيان كانوا مدافعين عن طريق الله وإرادته لشعبه بغضب واضطراب. هذه العاطفة شملت تركيزًا قويًا على إنصاف الفقراء والمظلومين، عاكسين بذلك الاهتمام الذي عبَّر عنه الله نفسه. إنَّ دعوات الأنبياء للرجوع إلى الله شملت وضع نهاية للظلم، وهو شيء وعد الله أيضًا بعمله في رؤيته لمستقبل أفضل لشعبه.